جنكيز خان يفرض سيطرته على آسيا !

وخلال فترة العصور الوسطى وبالتحديد سنة ١٢٠٦م ظهرت إمبراطورية جديدة شاسعة رأسها المنغولى جنكيز خان حاكم منغوليا فى تلك الفترة ، والذى استطاع تكوين جيش ضخم امتدت فتوحاته لمناطق شاسعة من آسيا خضعت تحت سيطرته ، فصارت الإمبراطورية المنغولية ممتدة من البحر الأصفر بشرق آسيا وحتى البحر الأسود بشرق أوربا .

جنكيز خان المنغولى الذى فرض سيادته على آسيا

وأهل منغوليا (المغول أو التتار) من البدو ، وتميزوا بمهارة عالية فى ركوب الخيل وفنون الفروسية وقد مكنتهم تلك المهارة من السفر عبر التلال والمناطق الجبلية بمنغوليا وفرض سيادتهم على مناطق أخرى بآسيا .

وبعد موت جنكيز خان اتسعت حدود الإمبراطورية المنغولية حتى وصلت إلى الحدود السابقة (من البحر الأصفر إلى البحر الأسود) كما حاول ابنه وأحفاده غزو روسيا وبلغاريا وبولنده ..

(انظر أيضاً ما ذكره ابن بطوطة عن جنكيزخان) .

السجين «ماركو بولو» يحكى عن مشاهداته العجيبة !

●● اثنان فى زنزانة :

ماركو بولو

فى أمسيات بعض الليالى من سنة ١٢٩٨ ، أراد السجينان اجتياز بعض الوقت الطويل الممل بالتحدث عن أحداث حياتهما ، وحكى أحد السجينين حكايات ومشاهدات غاية فى الطرافة عن أفيال ، ومجوهرات ، وسحرة، وأشخاص يأكلون النار، وأرض غاية فى الثراء والفخامة لدرجة تفوق الخيال !

كان ذلك السجين صاحب الحكايات الطريفة المثيرة هو «ماركو بولو» وكان يحكى عن ذكرياته خلال ١٧ سنة قضاها فى خدمة كوبالى خان الأكبر [حفيد جنكيز خان] !

من هو ماركو بولو ؟

وُلد ماركو بولو سنة ١٢٥٤ ، فى مدينة فينيسيا الإيطالية . وفى عمر ١٧ سنة سافر مع أبيه وعمّه خلال طريق الحرير فى رحلة طويلة إلى شانج تو [عاصمة الإمبرطورية المنغولية ومكانها فى الصين] واستمرت الرحلة مدة فاقت ثلاثة أشهر صعد خلالها المسافرون جبالاً وعبروا صحارى حتى وصلوا إلى القصر الصيفى لخان الأكبر فى شانج تو .

واشتغل بولو خادماً لخان . وخلال فترة خدمته الطويلة طاف كل أنحاء الإمبراطورية المنغولية ، وكان أثناء ذلك يرقب ويلاحظ كل ما يمر به ويدوّن مشاهداته وملاحظاته .

وأثناء عودته إلى بلده فينيسيا اعتُقل بولو على يد رجال «جينويزى» الذى خاض حرباً ضد سكان فينيسيا .

وكان رفيقه فى زنزانته «روستشيلو» والذى قام بكتابة كل ماحكاه بولو فى كتاب أطلق عليه اسم كتاب الأعاجيب [the Book of Marvels] .

ولكن ماهى الأشياء «العجيبة» التى جاءت فى ذلك الكتاب والتى أعطت لبولو أهمية كبيرة كأحد الرحّالة والمستكشفين ؟

- جُزر التوابل والأعشاب العجيبة !

كانت حكايات ماركو بولو عن الجزر الواقعة جنوب شرق آسيا ، وأهمها جزيرة جاوا الإندونيسية مثيرة للغاية لأهل الغرب ، حيث عرفتهم بعادات وتقاليد سكان تلك الجزر النائية وما تزخر به من توابل وأعشاب غريبة لا توجد بدول الغرب . كما حكى بولو عن كثرة الذهب والفضة والأحجار الكريمة فى تلك المنطقة . وصوّر بصفة عامة من خلال حكاياته الإمبراطورية المنغولية على أنها بيت الثراء والكنوز .

وتلك الحكايات نشطت خيال الأوربيين وجعلتهم يطمحون للثراء بالسفر إلى تلك المناطق ونيل ما بها من خيرات وفيرة .

وكان «كولومبس» من ضمن هؤلاء الناس الذين دهشتهم حكايات «ماركو بولو» عن جزر التوابل والثراء الكامن بتلك المنطقة ، ولذا قرر أن يخوض رحلة إلى بلاد الهند وجزيرة جاوا .

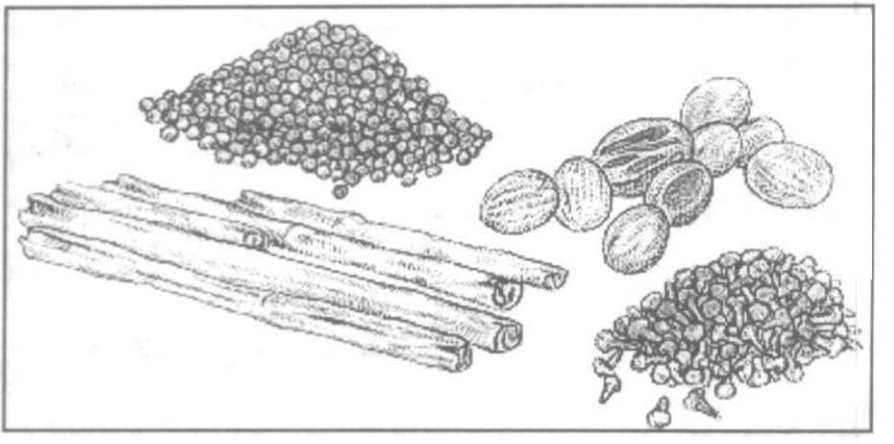

توابل وأعشاب من جزيرة جاوا حكى عنها ماركو بولو

رسم تصورى لخان الأكبر أثناء ركوبه الفيل فى رحلات الصيد وبصحبته نمور وصقور .

* القصر المعجزة !

أما قصر «خان الأكبر» الذى عمل به «بولو» فقد استحوذ على قدر كبير من حكايات بولو لما شاهده فيه من ثراء يفوق الوصف . فكان من ضمن ما ذكره عنه أن حوائطه مكسوة بالذهب والفضة . وذكر بولو أن خان الأكبر كان يخرج للصيد فى فصل الشتاء راكباً فيلاً ضخماً مغطى بثياب مزركشة يندفع أمام موكبه نمور وصقور لصيد الحيوانات . وكان يمر موكب خان أثناء خروجه من القصر بإيواء [سُرادق] غاية فى الفخامة مغطى بجلود الأسود والملابس الذهبية .

* خادمو الإمبراطور وعلامة الذهب !

وذكر بولو أن خان أعطى أوامره بإنشاء طرق لنقل البضائع داخل إمبراطوريته، وكانت طرقاً ممهدة مظللة بالنباتات و الأشجار لتلائم أجواء الصيف

الحارة ، وكان حاملو الرسائل الذين خصصهم خان لخدمته والذين اختارهم على أساس تميزهم بخفة الحركة والسرعة يطرقون تلك الطرق مزودين بأجراس تتدلى من ملابسهم لينبهوا الناس إلى قدومهم . وكان أهم الخدم عند خان يضعون على ثيابهم قطعة ذهب مميزة تدل عليهم ، وتسهّل لهم مأمورياتهم ، وتجعل الناس تُقدم على خدمتهم ، كأن تقدم لهم طعاماً أو خيلاً يركبونها .

وكان بولو وأبوه وعمّه مزودة ثيابهم بهذه العلامة الذهبية .

رسم تصورى للطرق داخل إمبراطورية خان الأكبر والتى كان يسلكها تجار البضائع والخدم وحاملو الرسائل